مقدمـــة

تضم دول شمال إفريقيه المغـــرب « مراكش » والجزائر وتونس وليبيا وجمهورية مصـــر العربية والسودان إلى جانب أفنى والصحراء الاسبانيه والجيوب الاسبانية فى مراكش (١) . وتشترك هذه الدول جميعا فى مقومات حياتها العامة إذ تمثل الزراعة والرعى أساس حياتها الاقتصادية مع إختلاف أهمية هاتين الحرفتين من بلد إلى آخر ومن منطقه إلىأخرى تبعا لتوفر المقومات الرئيسية لقيام كل حرفه وتبعا لانماط إستغلال الارض فى شتى أنحاء المنطقة ، أما الصناعة مما زالت فى معظم دولها فيماعدا جمهورية مصر العربيه فىالمراحل الاولى من تطورها إذ تعمل كل دولة بقدر ما لديها من قوة اقتصادية على تدعيم وتنشيط هذا الفرع الحيوى من مجال الحياة .

ويشبه شمال إفريقيه بقية أجزاء القارة الإفريقية فى كون دول نامية تشغل معظم مساحته غيرأن لهذه المنطقةأهمية خاصه تتمثل فى موقعها الجغرافىالممتاز الذى تتمع به إذ تطل على البحر المتوسط شمالا كما تشرف على كل من المحيط الاطلسى غربا والبحر الاحمر شرقا ذلك بالاضافة إلى أن الصحراء الكبرى تتاخمة من الجنوب ليتداخل فى جزء كبير من دولة .

وشمال إفريقية فى هذا الموقع مكنه من أن يكون أقرب أجزاء القارة الإفريقية لأوربا وآسيا ومن ثم تأثر بها وأثر فيها . وقد ساعد المدخل الشرقى للقارة ومضيق جبل طارق على تحقيق أواصل الربط والاتصال بين هذا الجزء من العالم وبين القارات المجاورة . فعن طريقها طبـــع التشكيل السلالى لسكان

(1) Demographic Year book • U. N. 1965 P. 15

هذه المنطقة بطابع خاص جعله يختلف إختلافا بيناً عن بقية القارة التى عرفت باسم « القارة السوداء » نسبة لانتشار العناصر السوداء أو الزنجية فى معظم أجزائها

كما انه عن طريقها — أيضا — وفد الطامعون والغزاة إلى أرضها ليضعوا أيديهم فوق ممراتها الحيوية الممثلة فى قناة السويس التى تربط بين البحر الأحمر وما وراءه من أقاليم موسمية فى جنوب شرق آسيا وبين البحر المتوسط بدول شمال غرب أوربا كظهير له ، والممثلة أيضاً فى مضيق جبل طارق المنفذ المهيمن على مصائر أمور البحر المتوسط . وحتى بعد إنتهاء عهد الامبراطوريات ، وغيبة شموسها تكالبت الدول الاوربية ـ من أجل أهمية هذه المنطقة وتوسط موقعها ـ على الاحتفاظ بموضع قدم أو قاعده حربية فيها لعل تستطيع منها يوما ما أن تعيد ما فقدته من نفوذ فى هذه المنطقة غير أن تيار القومية جارف يكتسح أمامه باستمرار القلاع الاوربية من دول شمال إفريقية العربية .

ولا تقتصر أهمية دول شمال إفريقية على مميزات موقعها الجغرافى فحسب بل أنها تضم عدداً كبيرا من سكان القاره الافريقية إذ تحتوى حسب إحصاء عام ١٩٦٤ على ما يقرب من ٧٢ مليون نسمه من جملة عدد سكان القاره البالغ حينئذ حوالى ٣٠٣ مليون نسمه أى أنها تشمل حوالى ٢٣ر٧٪ من جملة عدد سكان القاره وبذلك تحتل المرتبه الثالثه بعد دول غرب إفريقيه وشرقها من حيث عدد السكان إذ سجل نفس التعداد ٩٦ مليوناً لسكان دول غرب إفريقيه و ٨٣ مليوناً لسكان دول شرق إفريقيه (١) . وإذا كانت هذه الارقام تلقى ضوءا على الحقيقه إلا أنها لا توضحها برمتها إذ أن الصحراء تشمل مساحات كبيره من معظم دول شمال إفريقيه ولذلك فلا بد أن نأخذ فى الاعتبار أن أغلبيه هؤلاء

(I) Ibid P 103 .

السكان يتركزون فى النطاق الساحلى أو حول مجارى الأنهار الدائمة الجريان كنهر النيل أو فى بطون الإدوية والواحات حيث تقترب المياه الباطنية من السطح وتنفجر العيون والآبار . أى أن الكثافة العامة لسكان المنطقة لاتعطى بأى صورة من الصور التوزيع الحقيق أو الفعلى لسكان الدول الإفريقية إذ تصل الكثافة العامة فى شمال إفريقية إلى ٩ أشخاص فى الكيلو متر المربع فى مقابل ١٦ شخص فى ك.م٢ فى غرب إفريقية و ١٣ شخص / ك.م٢ فى شرق إفريقية و ٥ أشخاص / ك م٢ فى وسط إفريقية و ٧ أشخاص /ك.م٢ فى جنوب إفريقية . ولنوضيح ذلك نذكر — على سبيل المثال — أن مساحة تونس ومراكش والجزائر دون الصحراء تشغل ما يقرب من ٢٦ ٪ من جملة مساحة إفريقية غير أنها تضم ما يقرب من ١٠ر١ ٪ من جملة سكانها ، وفى نفس الوقت تساهم بـ ١٢ر٥ ٪ من جملة صادراتها وبحوالى ٢١ر٤ ٪ من جملة وارداتها وذلك تبعا لإحصاء عام ١٩٦١ (١) .

وتختلف أهمية دول شمال إفريقية — من الناحية الاقتصادية — من دولة إلى أخرى فبينما كانت تعد ليبيا قبل إكتشاف البترول قطراً فقيراً يمد يده لقبول المعونات الخارجية من أصحاب القواعد العسكرية فى أرضها (٢) إذ نجدها تتحول بعد تفجير ينابيع البترول بها فى عام ١٩٥٥ إلى دولة من الدول الهامة لإنتاج البترول هذا فى نفس الوقت الذى تمثل فيه مراكش وتونس والجزائر أهمية كبرى لفرنسا إذ أحتلت الجزائر المركز الثانى بين الأسواق الفرنسية فى عام ١٩٦١ لأنها تستورد ما بين ٧٠ و٨٠ ٪ من حاجاتها من فرنسا ، بينما تصل النسبة فى تونس ومراكش ما بين ٤٠ ٪ و ٦٠ ٪ من مجموع واردات كل منهما.

---

(1) Hance, W·A., The geography of Mopern Africa، London,1965 P8.1

(٢) بلغت ما تقدمه ليبيا من معونات عام ١٩٥٨ حوالى ١٤ مليون جنيه استرلينى ساهمت الولايات المتحدة الأمريكية فيه بحوالى ثلاثة أرباع المبلغ وساهمت بريطانيا بالقدر الباقى.

وبعض صادرات شـــمال إفريقية تذهب إلى فـرنسا مثل الفوسفات والحمضيات والزيوت والخضروات والحديد الخام والنبيذ (١) (شكل ١) .

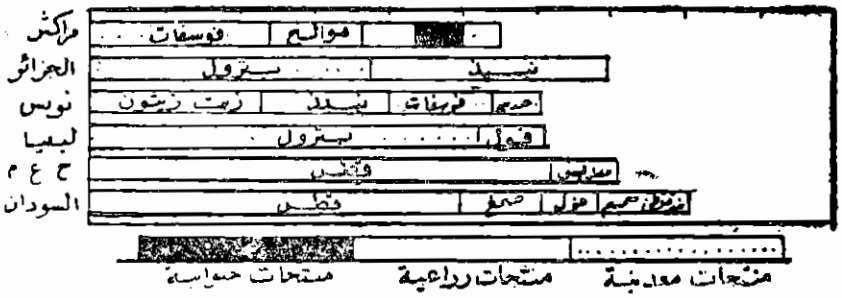

(شكل ١) الصادرات الرئيسية لدول شمال إفريقية حسب الأرقام فى ١٩٦١

جمهورية مصر العربية فتظهر أهميتها بوضوح فى علاقاتها التجارية مـــع العالم الخارجى ، ونظرة واحدة إلى خطوط الطيران التى تتفرع من مدينة القاهرة أو عدد الطائرات الهابطة فى مطاراتها أو السفن التى تعبر قناتها أو تلجأ إلى ميناءى الاسكندرية وبورسعيد أو عدد السياح الوافدين اليها لكافية على القاء الضوء على أهمية موقعها الجغرافى ومركزها الاقتصادى .

ونفس الشىء ينطبق على جمهورية السودان التى تمثل أغلب أراضيها سهلا متسعاً كبيراً يتوقف إستغلال الارض به كثيرا على العوامل المناخه ، والتى تساهم بحوالى ٧٥ ٪ إلى ٨٥ ٪ من جملة صادرات الصمغ العربى فى العالم وحوالى ٨٠ ٪ من جملة انتاجية العالمى ، كما تساهم أيضاً بنحو ٣٥ ٪ من الانتاج العالمى بالنسبة للاقطان الطويلة التيلة ومن ثم تأتى فى المركز الثانى بعد جمـــهورية مصر العربية

---

(١) وبالاضافة إلى الأهمية الاقتصادية المطلقة لفرنسا فهما أهمية حربية أخرى تتمثل فى استخدام فرنسا لبعض القواعد البحرية والموجودة فى شمال إفريقية .

(٥٤٪) فى انتاج هـــذا النوع من الأقطان أى أن دولتى وادى النيل مصر والسودان تحتكر ان نحو ٩٠٪ من الانتاج العالمى من الاقطان الطويلة التيلة(١).

ولشمال غرب افريقية صفات طبيعية وحضارية تميزه عن بقية أجزاء القارة وهذا الإقليم غير محدد من الناحية الطبيعية والحضارية تحديدا واضحا غير أن التحديد السياسى هو أفضل المعايير التى تستخدم فى هذا الصدد نظرا لأنها تمكن الباحث من جمع الإحصاءات والمعلومات الخاصة بدول هـذه المنطقة التى تشمل ثلاث وحدات سياسية وهى مراكش التى أصبحت دولة مستقلة منذ عام ١٩٥٦ والجزائر التى حصلت على حريتها فى عام ١٩٦٢ بعد كفاح مرير ، ثم تونس التى غدت جمهورية فى عام ١٩٥٧ بعد حصولها على الاستقلال بعام واحد . ويرجع تاريخ الحدود السياسية لهذه الوحدات الثلاث فيما عدا الصحراء الجزائرية إلى الاحتلال العثمانى الذى كان قائما هناك منذ ما يقرب من ٤٠٠ سنة مضت . أما الوحدات السياسية الصغرى الأخرى الممثلة فى أفنى والصحراء الاسبانيه والجيب الأسبانى فى جنوب مراكش وسبته ومليله فهذه تعود بتاريخها إلى الوقت الذى تغلغل فيه النفوذ الاسبانى إلى شمال غرب افريقية .

ويعتبر المغرب العربى من الناحية الطبيعية جزءا من حوض البحر المتوسط رغم وجود المؤثرات الصحراوية والبحرية وذلك لعـدة أسباب نجملها فيما يأتى:

أولا : لأن وقوعه على هـذا الحوض سمح وأعطى الفرصة له لكى يتصل بدول هـــذا الحوض منذ آلاف السنين وذلك عن طريق مضيق جبل طارق وصقلية وعن طريق الساحل الشمالى لإفريقية الذى يقوده إلى دول الشرق العربى

---

(١) محمد عودى ، الوطن العربى : دراسة فى الجغرافية ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٥٤٥ .

ثانيا : أن مناخه يتأثر إلى حد كبير بمؤثرات البحر المتوسط سواء فى المناطق الشبه مدارية أو مناطق أستبس البحر المتوسط . ولا يشذ عن هـذا التأثير إلا بعض الهضاب والجبال العالية التى بحكم ارتفاعها ، لها نظام حرارى خاص يتميز بوجود اختلافات فصيلة واضحة ، وفيما عدا الصحراء التى تتميز بالمناخ المدارى الصحراوى . ويتمثل مناخ البحر المتوسط فى ثلاث صفات رئيسية وهى سقوط الأمطار فى فصل الشتاء ودفئه ، وجفاف الصيف وارتفاع درجة حرارته ، ووجود نسبة عالية من ساعات النهار المشمسة .

ثالثاً : يدخل المغرب العربى ضمن إقليم البحر المتوسط نظراً للتشابه الموجود بين نظام تضاريس هذه المنطقة والاراضى التى تقع فى شمال حوض البحر المتوسط ولا سيما فى وجود جبال أطلس التى تعتبر فى الواقع تتمة للنظام الالبى الذى يظهر فى الحوض الغـربى للبحر المتوسط والذى يمكن تتبعه من شبه جزيرة إيطاليا وعبر صقليه إلى شمال إفريقيه .

وهناك فى مراكش تتفرع السلاسل الجبليه الشماليه إلى فرعين أحدهما ينثنى على هيئه قوس يظهر فى أطلس الريف ثم فى سير أنيفادا الاسبانيه وجزر البليار فى حين يظهر الفرع الثانى فى جبـال أطلس الوسطى . أما السلسله الجنوبيه المعروفه باطلس الصحراء فى الجزائر فتصبح هى أطلس الكبرى فى مراكش إلى جانب أطلس الصغرى أو الداخليه (شكل ٢) .

وكما هو الحال فى أراضى البحر المتوسط فى أوربا نجد أن مناطق الاستبس على مرتفعات المغرب تحدد نطاق أستغلالها رغم وجود كثافات سكانيه عاليه فى هذه المناطق .

ومن الظاهرات الطبوغرافية المتشابهة أيضا بين أراضى شمال البحر المتوسط

وجنوبة الغربى وجود مقدمات جبلية فيضية وسهول ساحلية تقسام فيها زراعة كثيفة معتمدة على الرى .

رابعاً : ومن بين العوامل الأخرى التى تجعل المغرب العربى ضمن نطاق البحر المتوسط الغطاء النباتى وأستغلال الأرض Land use فأما عن الغطاء النباتى فنجد أن معظم نباتات المغرب تنتمى إلى نوع البحر المتوسط فى حين يتميز أستغلالة الأرض بوجود ثلاثه محاصيل رئيسية ترتبط باراضى البحر المتوسط وبمناخه وتتحدد بوفرة المياة وهذه النباتات هى : —

أ ـ المحاصيل التى تعتمد على مياه الأمطار التى تسقط فى الشتاء وتتمثل على وجه الخصوص فى القمح والشعير اللذين يغطيان مساحة كبيرة من الأراضى الزراعية .

ب ـ المحاصيل التى تتحمل الجفاف وتعتمد على الرى وتستطيع مقاومة جفاف الصيف بطريقة أو أخرى . وتضمل هذه المحاصيل لزيتون والتين وأشجار البلوط وبعض الأشجار الأخرى للبحر المتوسط .

جـ ـ المحاصيل التى تعتمد تماما على الرى سواء كان رياً دائما مثل الحضيات والكروم أور سنويا مثل الخضروات والأزهار . وهذه المحاصيل تشمل مساحة صغيرة بالنسبة لجملة المساحة المنزرعه غير أنها تساهم بنصيب كبيرة فى تجارة الصادرات .

ومن هذا يبدو أن معظم محاصيل شمال إفريقية تشبه تلك المحاصيل المدجودة فى بلدان البحر المتوسط الأوربى .

خامساً : ومن أوجه الشبه أيضاً بين الأراضى للغربية والشاطىء الأوربى للبحر المتوسط هو وجود أعداد كبيره من الإوربيين المستوطنين ولا سيما فى

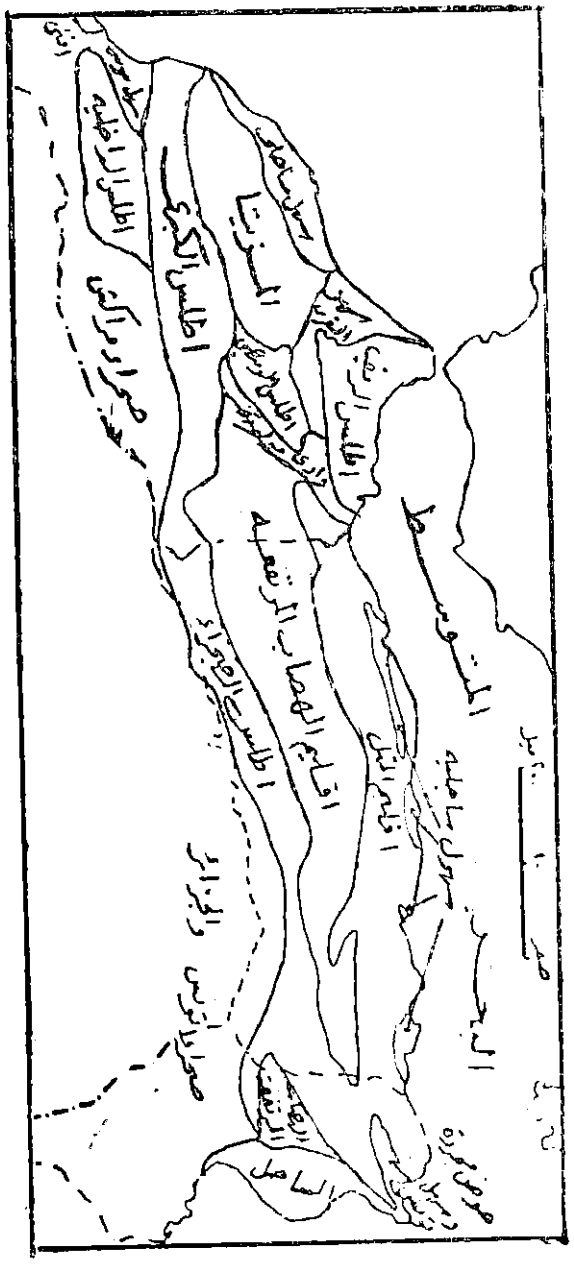

(شكل ٢) اقاليم الغرب العربي

تونس والجزائر . وفى الواقع تبدو مظاهر الغربية « Westernization » أو الحضارة الاوربية فى بعض مدن شمال غرب إفريقية مثل الدار البيضاء ووهران والجزائر وعنابة وتونس .

سادسا : ولعل وجه الشبه الاخير بين المنطقتين هو أزدحام السكان إذ يبدو أن مشكلة السكان فى المغرب الكبير أكثر صعوبة من مثيلتها فى المنطقة المطلة على البحر المتوسط فيما عدا مصر . ففى الجزائر مثلا يوجد ما يقرب من ٦٠٠ر٠٠٠ فلاح معدم لا يمتلكون من الارض شيئا ، إلى جانب ٤٠ ٪ من القوى العاملة فى الزراعة بدون عمل أو غير عاملة بمعنى الكلمة unber employed إذ يبلغ عدد العاطلين فى منتصف عام ١٩٦٣ حوالى ٨٠٠ ألف عامل ذلك بالإضافة إلى أن هناك حوالى ٥ مليون شخص قيل إنهم يعشون فى فقر (١) ، وأن الزياده السنوية للسكان تتراوح ما بين ٦ر٢ ٪ و٣ ٪ بمعنى أن عدد سكان الجزائر سوف يتضاعف فى أقل من ٢٥ سنة .

أما فى تونس فحوالى ٪ السكان يمكن أعتارهم عاطلين بينما الاحوال فى مراكش أفضل من الدولتين السابقتين على الرغم من أن الفقر يشمل عدداً كبيراً من السكان . وفى الواقع أن تضخم السكان فى شمال إفريقية مشكلة تؤرق عضد أقتصاد المغرب العربى وتضع أساس المشاكل الاقتصادية إلى جانب الزيادة السكانية الكبيرة التى تنذر بأنفجار سكانى لا يتلاءم مع طبيعة موارد البلاد . ويزيد الطين بله أن أرتفاع نسبه صغار السن (٢) يقابله صغر حجم القوة العامله أو المنتجه . وبعباره أخرى فإن العبء الاقتصادى لقطاع كبير من المجتمع

---

(1) Hance, op cit, p. 79

(٢) يبلغ عدد من يقل سنهم فى تونس حوالى ٥٠ ٪ فى حين يصل عدد من يقل سنهم عن ١٤ سنة فى بلاد المغرب إلى حوالى ٤٢ ٪ .

ملقى على شريحة من القوى الحيوية التى يتراوح أعمار أفرادها ما بين ٢٠ و ٦٠ سنة .

وإذا كان المغرب الكبير يرتبط مع دول شمال البحر المتوسط بعدد من الروابط الطبيعية إلا أن لهذا الإقليم شخصيته التى تميزه ويختلف بها فى نفس الوقت عن بقية دول البحر المتوسط . وأول هذه الاختلافات من الناحيه الطبيعيه هو أن مراكش أقل من دول البحر المتوسط الأخرى أرتباطاً وأحتكاكاً بهذا البحر ومرد ذلك إلى طبيعة سواحلها التى تشرف عليها الجبال ولا تترك بينها وبين البحر سهلا يمكن أن يوجه مراكش صوب البحر المتوسط . ذلك إلى جانب التناقض المناخى إذ تمتد هذه المنطقة صوب الجنوب ومن ثم تبعد عن عن مؤثرات البحر المتوسط وتصبح درجه الحرارة أكثر أرتفاعاً ، كما أن كمية الأمطار تأخذ فى الانخفاض إلى أن تتلاشى ويصبح المظهر الصحراوى هو السائد وبالإضافه إلى ذلك فإن هناك مساحات كبيره من الهضاب العاليه التى تنخفض درجه حرارتها فى الشتاء وتصبح أبرد من المناطق الشماليه وهى فى ذلك أقرب فى مناخها إلى مناخ مناطق الاستبس .

ومن الناحيه الهيدروجرافية نجد أن المنطقه فقيرة فى مجاريها المائيه فلا يوجد فى مراكش أى أنهار دائمه الجريان ولذلك فإمكانيه الرى فى أى دولة من دول شمال غرب إفريقيه لا يمكن أن نقارنها بمجاراتها الاوربيات . (شكل ٣) .

وإلى جانب الاختلافات الطبيعيه توجد أختلافات بشريه هامه فحضارة البربر أى السكان الاصليين بشمال إفريقيه على طرف النقض من حضارة شمال البحر المتوسط إذ يكون المغرب الكبير أو المغرب العربى الجناح الغربى من العالم الاسلامى وذلك إذ ما أعتبرنا أن النيل هو محور العالم الإسلامى

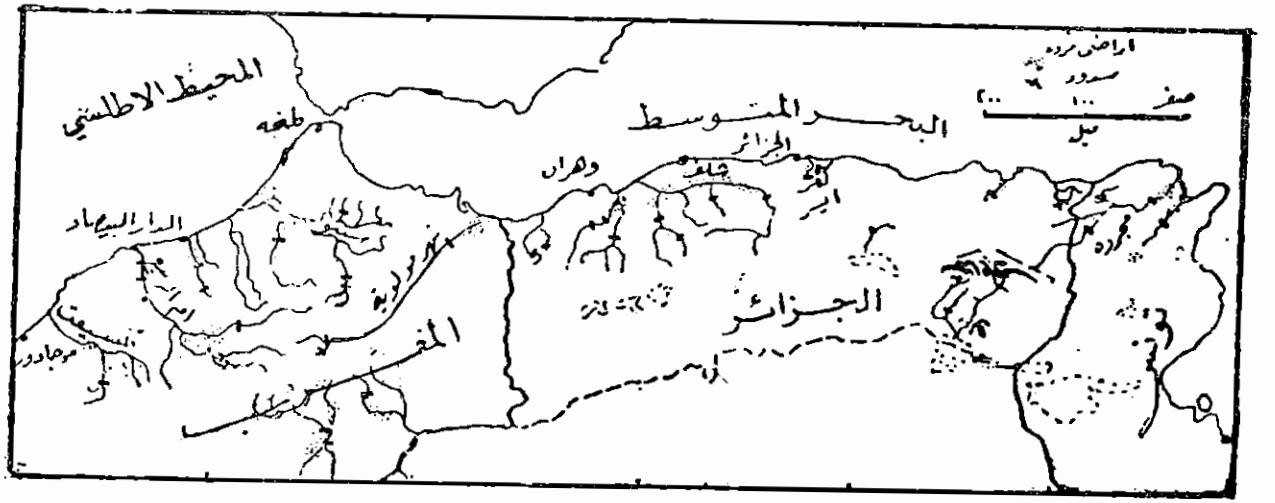

(شكل ٣) الحدود والأنهار الرئيسية والمناطق المروية فى المغرب العربى

وأن جنوب غرب آسيا هو الجناح الشرقى لهذا العالم ، مع ملاحظة أن المغرب الكبير يضم من المسلمين ما يعادل ضعف عـــدد المسلمين الموجدين فى آسيا الصغرى(١) .

ويعتبر البربر السكان الأصليين للمغرب وينتمون إلى المجموعة الحامية الشمالية وقد أختلطوا مع الجماعات العربية التى وفـــدت إلى المغرب ، وأعتنقوا الدين الإسلامى وتحمسوا له فى كل مكان وتمكن البربر من الاحتفاظ بسيادتهم على بعض المناطق ولاسيما فى المناطق المرتفعة فى مراكش ومناطق القبائل وأوراس فى المغرب .

ويوجد فى المغرب العربى عدد كبير من العرب الذين إنحدروا من المجموعات العربية التى وفدت إلى مصر وعبرت ليبيا وجاءت إلى هناك فى موجات متعددة أستمرت من القرن الثامن إلى القرن الثالث عشر الميلادى . ومن ثم فحوالى ثلاثة أرباع السكان يتحدثون اللغة العربية فى حين يتحدث اللغة البربرية حوالى ربع السكان . وفى المناطق الساحلية يختلط البربر والعرب ببعض العناصر الأوربية فى نفس الوقت الذى ينحصر نطاق الاختلاط بالعناصر الزنجية فى مناطق الواحات الجنوبية .

أما عن اليهود فى المغرب العربى فبلغ عددهم فى أعقاب الحرب العالمية الثانية حوالى نصف مليون نسمة ولكن يقدر عـــددهم فى الوقت الحاضر بأقل من ١٥٠ ألف نسمه ، الذين من بينهم ١٠٥ ألـــف يهودى فى مراكش و٣٠ ألف فى تونس و١٠ ألف فى الجزائر . وهجرة اليهود التى تتجه أساسا إلى إسرائيل

---

(١) بلغ عدد سكان تركيا فى عام ١٩٦٥ حوالى ٣٢ مليون نسمة وأغلبهم من المسلمين

وفرنسا لها تأثير كبير عـــلى الحياة الجماعية لليهود فى شمال إفريقية إذ يتركز معظمهم فى المدن .

أما عن المستوطنين الأوربيين فى المغرب فمن الممكن تقدير أعدادهم نظراً لازدياد هجراتهم من مراكش وتونس بعد عام ١٩٥٦ ومن الجزائر بعد عام ١٩٦٢ . ففى عام ١٩٥٦ كان يوجـد فى مراكش حوالى ٤٠٠ ألف أوربى ، وفى الجزائر حوالى مليون ، وفى تونس مايقرب من ٢٥٥ ألف أوربى . وفى عام ١٩٦٣ بقى فى مراكش من الأوربيين حوالى ١٤٠ ألف مستوطن فى مقابل ٤٠ ألف أوربى فى تـــونس و ١٣٠ ألف فى الجزائر . وتشير الدلائل إلى أن هذه الاعداد قد تناقصت بمقدار النصف أو ٢/٣ خلال الخمس السنوات الأخيرة إذ أن طرد الأوربيين من دول شمال إفريقية يمثل إنتصاراً للقوى الوطنية وفى نفس الوقت خسارة للمهارات ورأس المال والقـدرة الشرائية للتجارة الأمر الذى ترك أثره الواضح فى اقتصاديات هذه البلاد ، .

ويوجد وجه تناقض آخـــر بين دول المغرب الكبير ودول شمال البحر المتوسط فيما يختص بنمط أستعلال الأرض . وهذا الإختلاف يرجع جزئيا الى الظروف المناخية الأقل ملاءمة وأساسيا الى التراث الحضارى لشعـــوب هذه المنطقه (١) . ولعـــل من أبرز هذه الإختلافات تلك التى تبدو فى الاهتمام الكبير برعى الحيوانات وخصوصا اهتمام البدو برعى الأغنام والماعز ، والرغبة فى المزيد من زراعة الحبوب ، وقلة إهتمام العرب والبربر بالزراعة المعتمـدة على الرى وبإنتاج محاصيل ذات قيمة تصديرية كبيرة ، ذلك بالإضافة إلى إستخدامهم

---

(١) لدراسـة هذه النقطة ارجع إلى :

Clarke (J.), The Maghreb : The Rural landscape. In The Western Mediterranean World, Edit. by Houston(T.M.) London, 1964p.667.

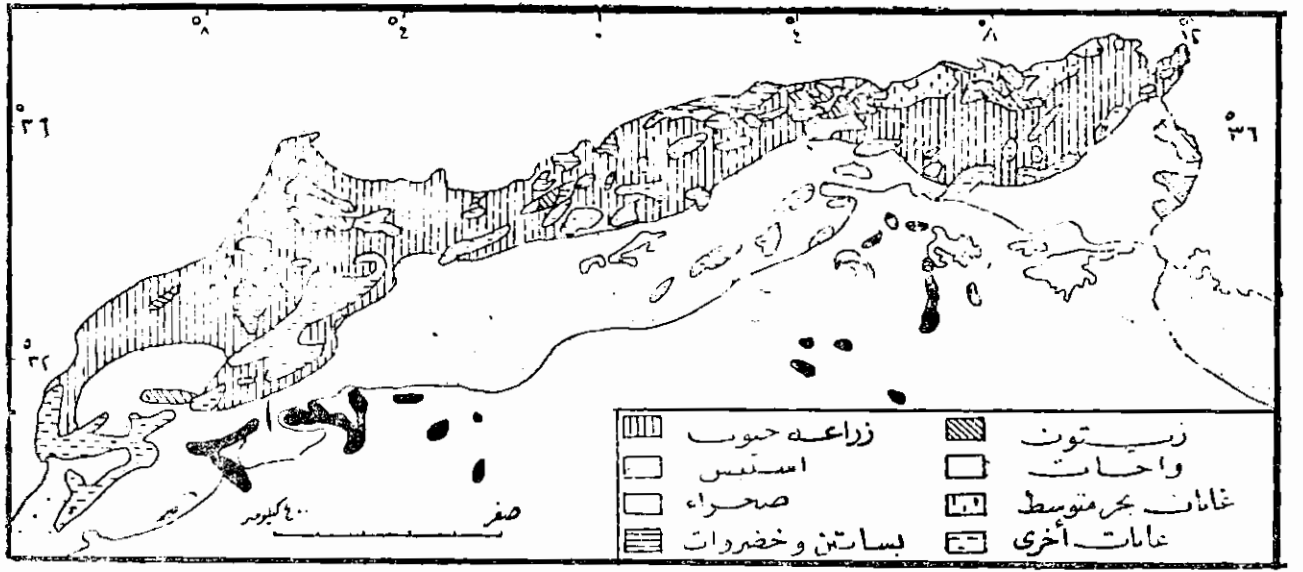

(شكل ٤) استغلال الأرض فى المغرب العربى

فى الإنتاج الإقتصادى طرقا تقليدية قـــديمة لا تلائم انطورات الاقتصادية الحديثة

أما عن ليبيا التى تعتبر ثالث أو رابع دولة فى إفريقية من حيث المساحة إذ تبلغ مساحتها ما يقرب من نصف مساحة الهند فنجد أن عدد سكانها لايزيد على ١٠٦ مليون نسمة من بينهم ٩٥ بالمئة مسلمين ، أما الأقلية فتكون من الطليـان (١) الذين يقطنون طرابلس ، والملطيين واليونانيين وبعض الجنسيـات الأخرى ويتركز أغلبية السكان بالقرب من ساحل البحر حيث يعيش ما يقرب من ثلثين مجموعهم حول طرابلس فى مساحة لا تزيد عـلى ٢٠٠ ك.م٢ فى حـين يتركز ربع السكان فى النطاق الساحلى الممتد من اجـدابية إلى طبرق فى برقة . أما بقية ليبيا فعبـارة عن صحراء لا تضم إلا قليلا من السكان يعيشون فى الواحات المتناثرة ويبلغ عددهم حوالى ١٠٠ ألف نسمة .

ونظرا لقلة الماء لا يمكن إستغلال ما بين ٥ أو ١٠ بالمئة من جملة مساحة ليبيا التى تصل إلى ١ ٧٦٠٠٠٠ كم مربع إستغلالا إقتصاديا فى حين الارض التى يمكن أن تقوم فيها حياة زراعية مستقرة لاتزيد على ١ بالمئة فقط من جملة المساحة الكلية . وتشمل حاليا الزراعة المستقرة فى ليبيا حوالى ٥ بالمئة من جملة المساحة ذلك الى جانب نسبة ضئيلة إخرى تستغل فى الزراعة المتنقلة والرعى والغابات ، كما أن جزءا من الارض الصحراوية حول الواحات يعتمد على مياه المطر (٢) .

وتنحصر الاراضى الزراعية فى ليبيا فى أربع مناطق رئيسية وهى :

---

(١) يتراوح عددهم ما بين ٢٠ و ٣٠ ألف نسمة .

(2) The economic development of Libya, A. report of a mission organized by the international bank for reconstruction and development, Baltimore 1963. p. 29.

أ — ساحل طرابلس ابتداء من الحدود التونسية فى الغرب حتى مصراته فى الشرق وذلك بالإضافة إلى سهل الجفارة .

ب — حواف الهضبة المحيطه بسهل الجفارة .

ه — منطقة الجبل الاخضر التى تقع بين البريقة ودرنه ويتروح إرتفاعها ما بين ٥٤٠ - ٨٠٠ متر .

د — سهل البريقة وسهل برقة الذى يرتفع عن سطح البحر بحوالى ٣٠٠ — ٤٠٠ متر .

وحتى فى هذه المناطق نلاحظ أن الامطار نادرة وغير منتظمة السقوط اذ تسود الصحراء معظم ليبيا كما أن المناخ حار جاف رغـــم أن مؤثرات البحر المتوسط تختلف فى مناطق الزراعة المستقرة فى طرابلس وبرقة عن الصحراء ففى المناطق الأول الطقس متغير حيث يوجد فصل شتاء تسقط فيـه الأمطار وتنخفض درجة الحرارة . وبصفـة عامة من أهم مميزات المناخ هو أستقراره نتيجة للمؤثرات الصحراوية والبحرية التى يتعرض لها . فمعظم الأمطار ربما تحدث فى أيام قليلة ، بينما يؤثر الجفاف الشديد فى بعض الأحيـــان على بعض المناطق فيؤدى إلى أتلاف المحصول كلية ، كما قد يأتى الجفاف فى عامين متتالين الأمر الذى يترك أثره الواضح على أقتصاد البلاد .

أما البترول فيمثل فى ليبيا مصدرا هاما للطاقة المحركة ويمكن الاعتماد عليه بصفة أساسية فى مشروعات التوسع الصناعى . وقد بدأ البحث عن زيت البترول فى ليبيا منذ عام ١٩٥٥ وبداء الإنتاج فى عام ١٩٥٩ . ويمثل البترول فى الوقت الحاضر الدعامة الاساسية للاقتصاد الليبى اذ أن المعادن الاخرى الموجودة فى ليبيا قليلة فلا تمتلك سوى كميات كبيرة من الملح على طول سواحلها ذلك الى

جانب بعض رواسب الحديد والنطرون وكميات ضئيلة من المنجنيز . وبصفة عامة فليبيا وضعها الجغرافى الخاص وإن كانت تلحق فى بعض الأحيان بدول المغرب الكبير .

أما شمال شرق إفريقية حيث توجد جمهورية مصر العربيه وإلى الجنوب منها السودان نجد أن هذه المنطقة تختلف فى ظروفها الطبيعية عن شمال غرب إفريقية إذ تخلو من هذه المنطقة الجبال الإلتوائية المرتفعة التى تظهر فى الأجزاء الشمالية الغربية من القارة وتصبح الظاهرة الفيزيوجرافية الواضحة هى نهر النيل ووادية الذى يحمل إلى أراضى مصر والسودان التربة الخصبة والمياه الوفيرة التى مكنت سكان الوادى من تنمية حضارة زراعية راقية منذ العصر الحجرى الحديث والتى جعلت من المصريين شعبا زراعيا من الدرجة الأولى إذ يكون الفلاحون فيه ما يقرب من ٨٠ بالمئة من جملة سكانه .

وبحكم الموقع الجغرافى لهذه المنطقة ولوجود النيل كان توجيه هذا الإقليم أسيوياً أفريقيا إذ أتصلت مصر بثقافات وحضارات جنوب آسيا وأضافت عن طريق أتصالها بالجنوب ملكات جديدة وكثيرة إلى شعبها فى خلال التاريخ إذ أن الهجرات السلمية وأيضا الحربية التى وفدت على مصر بحكم موقعها وتوجيهها هذا جددت من العناصر التى تكون الدماء المصرية .

وتوجيه مصر نحو الجنوب أمر فرضته الظروف الطبيعية وساعد على تنبيته الرغبة فى حسن الاستفادة من الماء الذى يجرى الى النهر من منابعه الإستوائيه والحبشيه ذلك الى جانب أن شمال الوادى مدين بوجوده وخصوبته للجنوب إذا تحمل مياه النيل اليه محليا ، والمعادن التى تتكون منها يمكن أن ترد الى تكوينات معينه فى الأراضى التى يجرى فيها النيل قرب منابعه .

وبالأضافه الى ذلك يمكن تلمس فضل الجنوب على الشمال ونشـــابك مصالح شطرى الوادى أحداهما بالآخر فى حياة الجماعات البدوية وسكان معظم الواحات المصريه الذين يعتمدون فى حياتهم اعتمادا كليا على مياه الابار التى تغذيها المياه الباطنيه المتسربه فى الطبقات من الجنوب . ومن هنا كان عماد الحياة البدوية المستقرة لسكان ج . م . ع جميعا على مياه الجنوب سواء أكانت مياهها جوفيه أم سطحيه .

والملاحظ أن الطبيعه قد أكدت هذه الوحدة بين شطرى الوادى بما هو واضح من تداخل كثير من المظاهر الطبيعيه فى الشمال والجنوب ، ونظرة الى خرائط التضاريس والمناخ والنبات كافيه لتوكيد هذا الترابط . فمظاهر السطح تكاد تجرى بنظام واحـــد ، وحالة المناخ والنبات انمـــا هى حالة تدرج لايحس فيها الإنسان بانتقال فجائى بين مصر والسودان . وأما تدرج الحاله المناخيه والحياه النباتيه فواضح وضوحا تاما فى خرائط المناخ والنبات لحوض النيل ، فظاهرة الحرارة والمطر تكاد تكون متشابهه فى جميع خصائصها فى جنوب صعيد مصر وشمال السودان ، وكذلك فى نوع النبات الطبيعى والغلات الزراعيه .

ويمكننا أن نقرر على ضوء هذه المناقشه أن لشمال شرق افريقيه ظروفا خاصه تجعل الحدود الفاصلة بين أراضى ج . م . ع . والسودان حدودا صوريه أو اتفاقات إداريه إذ أن الأسس الجغرافيه للحدود الصحيحة لايتوفر فيها أساس واحد يمكن أن يستند إليه ، فليس هناك تضاريس تستدعى هذا القصم ، وليس هناك انتقال مفاجىء يمكن أن نبرر به هذا التحديد ، وانما تؤيد العوامل الطبيعيه كلها هذا الاتصال والاندماج وخصوصا وان الحدود القائمه انما تقسم أراضى القبيلة الواحدة بآبارها ومراعيها وتترك جزءا منها داخل الأراضى السودانيه والجزء الآخر ضمن حدود جمهوريه مصر العربيه وينهـــض مثل على ذلك البشاريون الذين

تفرق الحدود السياسية بطونهم وتخلق المشاكل القبلية بينهم بسبب تقسيم الآبار ومناطق الرعى (١) .

وإذا كانت الروابط المادية تعطى لدولتى شمال شرق إفريقية وحدة اقليمية فإن تكوين السكان يبين مدى ترابط واتصال الشمال بالجنوب ، فالأثر الحامى فى سكان السودان هو الأثر الذى يرتبط إرتباط وثيقا بسكان مصر والنوبة إذ ساهمت الموجات الحامية مساهمه أساسيه فى التكوين الجنسى لسكان السودان على أختلاف مايسكنون من أقاليم ، ولكن موقع السودان قريب من مواطن الزنوج فى وسط افريقيه وغربيها وعدم وجود الحواجز الطبيعيه التى تمنع وصول الأثر الزنجى إلى جهات السودان ، كل هذا كان من العوامل التى جعلت الأثر الحامى فى هذا الجزء من وادى النيل أقل وضوحا مما هو فى بلاد النوبة وفى جمهوريه مصر العربيه . وعلى أى حال فهذا الأثر قوى جدا فى الجزء الشرقى من وادى النيل وخصوصا فى المنطقه التى تسكنها جماعات البجاة .

ولايقتصر أثر الترابط بين جمهوريه مصر العربيه والسودان على العناصر الماديه فحسب بل تشمل أيضا الآثار الثقافيه التى ترجع روابطها القويه إلى صلات متناهيه فى القدم تعود إلى عصر الاسرات . وليس فى هذا غرابه اذ تساعد الطبيعيه هذا الانصال والارتباط بين المجموعات المختلفه التى تعمر الوادى . ويكنى أن نذكر أنه على الرغم من النوبه أستطاعت أن تصمد أمام المسلمين الذين دخلوا الى مصر منذ القرن ٧ م الا أنها مع ذلك لم تمنع تسرب الثقافه الاسلاميه والمسلمين الى بلاد النوبه اذ أخذت قبائل جهينه وبنى العباس تهاجر

(١) أنظر — عباس عمار — وحدة وادى النيل، أسسها الطبيعية والأنثوجرافية والثقافية والاقتصادية . نشرت فى (وحدة وادى النيل أسسها الجغرافية ومظاهرها فى التاريخ القاهرة — ١٩٤٩ .

منذ الفتح إلى بلاد النوبة حيث نجحت فى صبغ هذه البلاد بالصبغة العربية الاسلامية وكان هذا ايذانا بانقلاب ثقافى ربط السودان بالعالم العربى والثقافة الاسلامية، كما نزع السودان وأهله من طابع الثقافة الإفريقى الى هذا الطابع الآسيوى . وهكذا ظل يوالى وجهة زعامته الثقافية والروحيه إلى جمهوريه مصر العربيه أو القبلة شماليه التى أتجه اليها دائما .

هذه هى الملامح الرئيسيه المكونه لشخصيه سكان وشعوب دول شمال افريقيه والتى تطبع هذه المنطقه من العالم بطابع خاص يمتاز بالتجانس وفى نفس الوقت بالتنوع . وهذه الحقيقه سوف تبينها الدراسه فى الفصول القادمه .